أبو الأعلى المودودي -2-

الأخ زهير الشاويش

لقد لمسنا أثر المودودي القوي في الناس بالصلة الشخصية معه منذ ثلاثين سنة . وبالصلة الوثيقة مع العدد الكـــبير من إخواننا أعضاء الجماعة الإسلامية ، وبكتبه التي كان لي الشرف بالمشاركة بطبع بعضها والمساعدة المعنوية علـــى نشر بعضها الآخر في اللغة العربية وغيرها ..

وفيما لمسناه عند أعداء أبي الأعلى المودودي !! ولا يخفى أن العدو قد يدل على محاسن عدوه من غير أن يشعر ، ورحم الله القائل :

وإذا أراد الله نشـــر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

كما أن عدوان الأتباع –أحياناً– يكون أشد على الإنسان ضرراً من عدوان الأعداء .. وقديماً قيل : (عدوٌ عاقل خير من صديق جاهل) !!

وأذكر لكم بعض الحوادث الشخصية التي جرت بيني وبين بعض أعداء أبو الأعلى المودودي وهي نماذج لا أكثر وأقل وسوف أتجنب ذكر الأسماء ..

اجتمعت مع عالم هندي كبير . بواسطة عالم دمشقي مقيم بالهند اسمه مأمون الزنجاني وكان يصدر بدمشق مجلـــة (المناهج) وكان هذا في موسم الحج عام 1373هـ وحدثنا العالم الهندي عن ضلال المودودي وكـــاد أن يوصـــله إلى الكفر ! لماذا ؟ قال : إنّ المودودي يتكلم في أمور الدين ويفتي الناس .. وهو لم يتخرج من مدرسة شرعية ! ويتكلم في أمور الدعوة .. مع أنه لم ينتسب إلى إحدى الفرق الصوفية مثل القادرية أو الرفاعية .. أو ما انبثق عنهما !

ولما قلت لهما : إنّ القسم الأول قد انصرفوا من قرون عن الأصول إلى كتب الفروع التي أصبحت متخلفة عـــن إعطاء الناس حكم الله فيما جد ويجد من أمور !! وإنّ المتصوفة لم تعد تمثل الشيخ عبد القادر الجيلاني أو الشيخ أحمد الرفاعي .. بل أصبحت ترسبات ليس فيها إلاّ فلسفة يونانية أو هندية .. وأحسن أحوال أصحابها عبادات ما أنزل الله بها من سلطان وبعض التعاويذ والرقي والتمائم وكلها معروفة الضرر !! وما خرجت من هذا الاجتمـــاع إلاّ وأنـــا عندهم مثل المودودي في الضلال !!

وعالم هندي آخر انتهت إليه رواية الحديث والفقه في بلاد الهند .. اجتمعت به مرارا .. وذكر المودودي يوماً في مجلسه .. فإذا بالشيخ يمتعض ويقول كلاماً غير طيب في حقه –وكنت بجواره– فسمعت كل ما قال ..

فقلت : ما عند المودودي حتى يستوجب ذلك ؟

قال : إنه ينكر فضل الصحابة ولا يراهم قدوة .. بل يقول : إنّ الرسول ﷺ هو القدوة فقط .. بينما يعتبر مـــن جاء بعده من المجددين في الدين .. وبذلك هم عنده أكبر من الصحابة !!

ثم دخل بعض الناس وانشغل الشيخ ببعض الأمور وتغير الحديث وبعد ذلك سألته عن أمور أخرى وأخيراً ســألته عما يقوله الناس عن كتب ابن عربي .. وما هو رأيه ؟

فقال : اتفق العلماء على تسليم حال هؤلاء الكبار ، وعدم الخوض في أقوالهم وأن لا يقال فيهم إلاّ مـــا يحـــسن ويجمل . بل يؤوَّل كلامهم بأمرين الأول : أننا لم نعرف مقصدهم . والثاني : أن تكون ألفاظهم قد حرفـــت !! وإن لازم المذهب ليس بالمذهب ؟ ولم أناقش ما في كلامه من غلط وإنما قلت مباشرة ألا يمكن أن نطبـــق هـــذا علـــى المودودي ؟ وهنا تغير وجه الشيخ ، وأظن قلبه أيضاً ، وأقيمت الصلاة من قبل بعض الحاضرين وانتهى الأمر

وعالم هندي كبير كان يعرف الصلة التي تربطني بالمودودي فطلب إليّ أن أحمل عنه للمودودي كلاماً فيه نفـــع خاص لهذا الشيخ !! وحدثني عن أثر المودودي الكبير في الناس وأنه لا يأخذ عليه سوى عدم التعاون مـــع الـــسادة العلماء بل أنه يتجنبهم وهذا غرور منه يحسن أن يقلع عنه ولا بد في تقديم الاحترام اللازم له !! مع أن هذا الـــشيخ قال لي : إن المستقبل في الهند وباكستان هو للجماعة الإسلامية شرط أن تعدل موقفها من الـــسادة العلمـــاء .. أو بعضها .. وهو طبعاً من هذا البعض !!

والظاهر أن المودودي والجماعة الإسلامية معه لم يعدل موقفه من هذا النوع من السادة إياهم فقام هـــذا الـــشيخ بتأليف رسالة يكفر فيها المودودي .. وقد علمت بهذه الرسالة ساعة علمي بموت هذا الشيخ .. فقلت : هل جعـــل ذلك جواز سفر ؟ .. غفر الله لنا وله

ورجل آخر في بلادنا عاب على المودودي فتحه باب الاجتهاد ونقده للمتصوفة وأن إظهاره عيـــوب التعـــصب احتقار لعلماء الأمة وتفريق الكلمة .. إلخ

ومن ثمَّ دعى لعدم جواز نشر كتبه أو مطالعتها .. وزارني ناصحاً محذراً من طبع هذه الكتب وأمثالها .. فقلـــت له : إن الإسلام لا يعرف هذا التعصب وإن باب الاجتهاد لم يغلق إلاّ عند الأمم الضالة والإسلام فتح العقول قبـــل فتح القلوب ودعى الناس للتبصر !! وأمّا اجتماع الكلمة أو تفرقها فهو مرهون بالشيء الذي يجتمع عليه ، فإذا كان

الأمر واضحاً والطريق سليماً فالاجتماع محمود مطلوب .. وإلاّ كان الافتراق خيراً من الاجتماع .. ولا يكون عندها إلاّ افتراق مؤقت إذ سرعان ما ترجع الأمة إلى الرأي الصائب ويكون الاجتماع بعدها اجتماعاً على الخير والصواب ..

وما علم المسلمون أن أول من خالفه سراً وجهراً هم تلاميذه وأتباعه .. لأن التحجير عن الفكر أمــر مــستحيل ومن حجر ما ضرّ إلاّ نفسه ..

وأن وجود الاختلاف بين الناس في النظر إلى بعض الأمور ، أو الاختلاف على بعض الأشخاص .. ومَــنْ مِــنَ العلماء والقادة لم يُختلف معه أو عليه ؟ ولذلك فكل ما قيل عن المودودي دالٌ على عظمته ، ومن المعصوم من الناس .. بل إن المتتبع لكتبه وأقواله سيجد ولا شك بعض الخطأ ، ولكنها مغمورة في بحر فضائله .. بل نعلم أنه لم يقلــها عن هوى ، بل عن سهو أو اجتهاد ، علّمنا رسول الله ﷺ أن صاحبه مأجور فيه مرة ، كما هو مأجور على صوابه مرتين

– للكلام صلة –